

## التكليف الإلهي.. يمنح الحياة قيمتها



الأمانة هي التكليف الإلهية التي إذا أطاعها الإنسان دخل الجنة، أي أنّها تشمل الطاعات والفرائض، والناس إزاء التكليف قسمان: عصاة وطائعون، الطائعون الذين التزموا القيام بها فأثابهم الله بالجنة، والعصاة الذين أهملوها فاستحقوا النار، وبالتكليف تكون الحياة ذات قيمة والإنسان مسؤولاً.

قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال/ 24). وقال عز وجل: (لَا يُمْكِلُهُ اللَّهُ زَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (البقرة/ 286).

لا يأمر الله تعالى عباده إلا بما يستطيعون الإتيان به، ولا ينهاهم عن شيء إلا إذا استطاعوا تركه، فدالكسب للطاعات، و(اللاكتساب) للسلبيات، والدعاء في الآية ليس منفصلاً، بل هو لجوء إلى الله من السلوك العبيثي واللابالي إزاء الأوامر والنواهي، ومن التكاليف الشاقّة القاسية التي لا تُطاق. إن الحقيقة التي تقرّها الآية هنا: لا يُكلّف الإنسان إلا بمقدار طاقته ووسعه، وعلى ضوء قدرته تتحدّد مسؤوليته، فلكلّ طاقة على عمل الخير، وعليه القيام بما يستطيع منه، ولا يطلب الله منه أكثر من ذلك، لأنّ التكليف فوق الطاقة ظلم، ولا يصدر عن الله العادل ظلم. قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَآ فَضَى اللّٰهَ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونُ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَقَدِ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً) (الأحزاب/ 36). كلا الجنسين مأموران بأداء الفرائض إلا ما ورد فيه استثناء، فلا جهاد على المرأة مثلاً، ولكن جهادها حسن تبعاً لها، فهي لم تُعفَ من الجهاد كليّة، بل استبدلت الفريضة بفريضة تناسب وطبيعة الأنثى.